تقديم

يعتبر الأمير عبد القادر ابن محي الدين بن مصطفى بن محمد (1808-1883م) من القيادات الفذة التي أثّرت تأثيرا كبيرا في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، فهو من أبرز شخصيّات القرن التّاسع عشر، إذ لا تزال سيرته تُثير الجدل وتُسيل الكثير من الحبر. وقد بلغ صيته وصدى أعماله مختلف أصقاع العالم، ذلكم بخوضه مقاومة شاقة وطويلة ضد الاستعمار الفرنسي، وإصراره الدفاع عن الأرض والوطن والهوية، بالرغم من الإكراهات والصعاب الكثيرة والمتنوعة. وكم كانت معاناته كبيرة بسبب مواقفه الوطنية ؟ إذ تم سجنه بقصر أمبواز الفرنسي في نهاية حربه ضد الفرنسيين، ومن ثمّ تهجيره إلى مدينة دمشق السورية. وكانت هذه الأوضاع القاهرة مناسبة مؤلمة، لكنه عرف كيف يستغلها استغلالا ذكيا، فسخرها للكتابة والتأليف وللأعمال الخيرية.

والجدير بالذكر أن حياة الأمير مرت بثلاث مراحل : مرحلة التعلم والتزود بنور المعرفة اللغوية والشرعية والفلسفية في شبابه، وامتهانه لمهنة التعليم، وزيارته للكثير من الدول العربية، ثم مرحلة المقاومة بعدما تمت مبايعته أميرا للقبائل الجزائرية، ثم تأتي المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل حياته التي كرسها للقلم والتأمل الفكري. وفي هذا الصدد نجد أن أغلب الباحثين في تاريخ الجزائر المعاصر قد توجهوا إلى اهتمامهم بالجوانب السياسية والعسكرية والاستراتيجية التي ميزت مسيرته، وقلّت دراساتهم لحياته الثقافية والمعرفية. ولم يكن الأمير عبد القادر مؤسسا للدولة الجزائرية الحديثة، ومتزعما للمقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي فحسب، بل كان شاعرا متصوفا، وباحثا في الفكر وفي العديد من القضايا المعرفية. كان من خلال آرائه الفكرية والأدبية، إنسانا متحررا ومتجاوبا مع عصره، وحاملا لمشروع إنساني تجاوز به الحدود المحلية والقومية. كما ترك تراثا ثريا ومؤلفات هامة، نذكر منها على وجه الخصوص كتاب "المواقف" في التصوف، ورسالة "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" الموجهة للفرنسيين، تناول فيها فضل العلم والعلماء على المجتمعات. وكانت له أقوال كثيرة في الشعر، ورسائل عديدة تناول فيها مختلف القضايا التي تبرز إبداعه ومكانته الأدبية والروحية. وإلى جانب تعاطيه القلم كان يسعى في العديد من المناسبات إلى تقريب الرؤى بين الشرق والغرب، والدعوة إلى حوار الثقافات والديانات.

وإشادة بجهوده في كل هذه المجالات، وإكراما لشخصيته التاريخية، تم تنظيم عدة ملتقيات وطنية ودولية تناولت حياة الأمير وبطولاته ومآثره، مثل : الملتقى الدولي بمدينة تلمسان بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية يومي 25-28 فبراير 2012، والملتقى الدولي بجامعة أولداغ ببرصة (تركيا، يومي 11-13 ماي 2012)، والملتقى الدولي الذي تم تنظيمه بمدينة الجزائر العاصمة أيام 28-29 و30 ماي 2013 والملتقى الدولي بمدينة معسكر، أيام 1-1-13 مارس 2014، الخ... وهي تظاهرات علمية كثيرة ومتنوعة تم إعدادها من قبل الجامعات داخل وخارج الوطن، ومراكز البحث العلمي، ومؤسسة الأمير عبد القادر وجمعيات وطنية أخرى...

وضمن هذا السياق العلمي فقد نظمت وحدة البحث حول الثقافة والتّواصل والآداب واللغات والفنون التابعة لمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران بالتعاون مع كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، وكلية الآداب واللغات والفنون جامعة وهران1 ومخبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر ومخبر الفلسفة وتاريخها التابعان لجامعة وهران2 ملتقى دوليا تحت عنوان "الأمير عبد القادر : المثقف، الأديب والمتصوف" يوم 04 و05 مايو 2015م بمقر وحدة البحث ببلدية السانيا، وهران. ويأتي هذا الملتقى ليسلط الضوء على الجوانب المعرفية والأدبية من حياة هذه الشخصية التاريخية، بغية إعادة قراءة وفحص مضامين مؤلفاته ومواقفه الفكرية، وتأملاته وإبداعاته، وإيجاد المعاني المشتركة بينه وبين التراث الإنساني عامة، وأيضا البحث في ارتباط مواقفه بقضايا العصر، بصفته مثقفا وأديبا ومتصوفا. وعليه شارك العديد من الباحثين والأساتذة والشخصيات الفكرية في هذا الملتقى الدولي ؛ وقد أتوا من مختلف الجامعات الوطنية والدولية. وتثمينا لهذه الجهود ننشر أعمال هذا الملتقى الدولي في جزئين من هذا الكتاب الجماعي والتي تم توزيعها على ثلاثة محاور : الثقافة والأدب والتصوف.

والجدير بالذكر أن الأمير كان يولي اهتماما خاصا للثقافة لما لها من أهمية في حياة الشعوب، وبوصفها عاملا حاسما في بناء الهوية الوطنية والتأسيس للمشاريع الحضارية، خاصة أنّ الأمير من الشخصيات التي تمتاز بسعة المعارف والمعلومات، وبامتلاكها خاصية المناقشة الهادئة، و توظيفها للحجة القوية في الرد على الآخرين.

وفي هذا الباب، أي في المجال الثقافي، تقدمت مجموعة من الأساتذة ببحوث تتناول مواقف الأمير من هذه القضايا، و نظرته للعالم، وأيضا نظرة الآخرين لكتاباته وآرائه.

وللتعمق أكثر في هذه الإشكالية، تناول **الحاج بنيرد** طرق الجدال وأساليب الحجاج لدى الأمير في مقابلته للآخر بقراءة في فكر هذه الشخصية التاريخية التي برزت بحسن اختيارها للمنهجية وللأسلوب الجيد في المناقشة، وبكيفية تحديد المنطلقات "العقليّة والاجتهاديّة في مواجهة التّحديات الكبيرة الّتي كانت تحيط به، ولا شكّ أنّ هذا الجانب أخذ قسطا كبيرا من اهتمامات الأمير وانشغالاته وهمومه". وهو ما يشير إليه **يوسف ولد النبية** في قراءة تحليلية لكتاب الأمير "المقراض الحاد"، الذي كان الغرض من ورائه الرد على أحد القساوسة الذين أنكروا على الإسلام الوفاء والإخلاص، وكان الرد بأسلوب متميز يضم جملة من الخصائص نذكر منها "سوق الأدلة (النقلية والعقلية والتجريبية)، والمزج بين الأسلوب العلمي والأدبي، سلوكه مسلك الحجاج لإقناع الآخر". هذه الخاصية في التعامل الفكري مع الآخرين أهلته ليكون محط أنظار الكثير حيث قدموا عنه صورا مختلفة، تأرجحت بين التقدير والازدراء، ولعل هذه الصورة استرعت انتباه **الطيب ولد العروسي** الذي بحث عنها في المراجع الفرنسية الأكثر انتشارا، والموسوعات العامة في أوروبا (معجم "روبير الصغير"، وموسوعة "ويكبيديا" (الانترنت)، ومعجم "لاروس"، والموسوعة الكونية، ودائرة المعارف الإسلامية). وتمثل هذه المراجع "مصادر أساسية للبحث الأكاديمي ومفاتيح حقيقية لاكتساب المعارف الكونية، بل إنها - فضلا عن ذلك - وسائل ناجعة لتكوين وبلورة وتوجيه الرأي العام". وعن ثقافة الاختلاف يشير **إبراهيم بن عمّار** إلى أن الأمير كان متميزا برؤيته الصوفية التي مثلت دوما و"عبر التاريخ ذروة الرؤية الإنسانية المتفتحة والمتسامحة، والمعترفة بحق الاختلاف وقبول الآخر، وذلك في إطار تركيز الأمير على الحوار لا الصراع بين ثقافات العالم". ولم يكن الأمير يبحث عن إقناع الآخر بطروحاته وسلوكه بقدر ما كان يسعى إلى "إثبات وترسيخ الكينونة والذات الحضارية"، وهو ما يركز عليه **مختار رَحاب** في تناوله لفكرة الآخر من المنظور العربي الإسلامي، ومن المنظور الغربي بسعيه إلى "توضيح واستجلاء ذلك من خلال "التركيز على تحليل وتفكيك بعض من النماذج الفكرية، وتتبع المواقف في إطار التدافع العلائقي"، وفي الاتجاه نفسه، أي العلاقة مع الآخر، قدم **أمجد أحمد الزغبي** دراسة حول فتنة دمشق سنة 1860م، محاولا الكشف عن الآخر في فكر الأمير ضمن السياق التاريخي والمنهجي لتلك المرحلة، وبخاصة لما يمثله "الأمير من رمزية المقاومة، وروح الأمة المتسامحة القادرة على الجمع ما بين المتضادات في نسيج جمعي جميل". وهي تجربة رائدة في مجال التعامل مع الآخر، إذ تدخل الأمير لفض النزاعات وحماية المسيحيين ومنهم الرهبان والراهبات والقناصل الأوروبيين.

ومثّل إقدام الأمير على هذا الفعل رسالة إنسانية قوية تطرق إليها **ماهر جبار محمد الخليلي**، وعالج مضامينها الإنسانية بالتعمق في أفكار ورسائل الأمير الروحانية، وفي طريقة تعامله مع الأصدقاء أو مع الخصوم، وهو التعامل الذي أثار "إعجاب دول العالم فضلا عن المسلمين، ليجسد بذلك حقيقة المعاني السامية في الدين الإسلامي فعلا لا قولا". وضمن هذا الطرح يرى **عبد القادر بوعرفة** أن الأمير عبد القادر قد "أعطى من خلال مواقفه وكتاباته مثالا حيا وتجربة تاريخية عن الإنسان المتجذر في إنسانيته، الذي يُعطي للعمل (كمقابل للنظر) القيمة الفضلى على النظر، فمقياس كمال الإنسان بعمله لا بنظره، لأن العمل قاعدة عامة يشترك فيها الإنسان العادي والكامل معا، أما النظر فهي خاصية الإنسان المترقي في سلم الكمال"، والأمر ليس غريبا عن هذه الشخصية التاريخية التي تستمد قيمها من "النزعة الإنسانية في الثقافة الإسلامية أولا في الحكمة العملية لا النظرية".

كما تعرض الأستاذ **عبد الحفيظ لعمش**، بتحليل المرتكزات التي اعتمدها في الصلح بين المتخاصمين، بخاصة وأن الرجل يمتلك "القدرة على التأليف بين القلوب المختلفة، والدفاع عن الأمة والوطن (...) بما أوتي من قوة ورباطة جأش". فقام بالبحث والاطلاع "على الثقافة المسيحية على اعتبار أنّ أتباعها من أهل الذمّة"، مما جعله يميز بين النصرانية الصحيحة التي جاء بها المسيح، وبين النصرانية التي تبناها المنتسبون إليها من الأوروبيين الذين راحوا يعملون على إذلال الشعوب بغير وجه حقّ"، مما دفع بهذه الشعوب المستضعفة إلى المقاومة والدفاع عن كرامتهم.

وقد أثرت كثيرا هذه المقاومة في الفكر العالمي، وهو ما تشير إليه **جويده غانم** من خلال الدراسات التي قام بها إدوارد سعيد في حقل علمي الاستشراق وما بعد الكولونيالية، إذ كان "للثورة الجزائرية مقاما مكرما في كتاباته، وهي التي حظيت بذكر الأمير عبد القادر الجزائري أثناء دراسته وتفكيكه لطبيعة الكولونيالية الفرنسية في الجزائر"، وأشاد ادوارد سعيد بالدور الذي لعبه الأمير "معرفيا وسياسيا وإنسانيا في مواجهة اعتى كولونيالية في العالم". وهو الأمر الذي دفع **معاشو بووشمة** للتساؤل عن الأنساق الثقافية والتمثلات المعرفية في ثقافة وأدب الأمير عبد القادر وعن كيفية تبلورها، بالاستعانة بالكشوفات العلمية في مجال الدراسات الثقافية، وباستنطاق الثراء الثقافي والرصيد المعرفي للعلامة اللغوية. وفي ذات السياق يرى **عبد الكريم الماجري** أنه لا يمكن اختزال هذه الشخصية في حركة المقاومة للاحتلال الفرنسي فحسب، "لأنها شخصية متضلّعة

في العديد من الميادين"، إذ قدمت العديد من الإسهامات و منها ما يدخل في علم الخيل، الذي "أثرى به المكتبة الفرنسية بل قل [المكتبة] العالمية".

وضمن العلاقة مع الذات ومع الآخر قامت **كاميليا موهب** بتحليل صورة الأمير من خلال أشعار أبناء وطنه وأشعار الشعراء الفرنسيين، وقد "أشاد الكل بهذه الشخصية المستقيمة والتقية، والمتفتحة على العالم". وعاين **محمد بسناسي** صورة الأمير لدى الكتاب، وبخاصة الكيفية التي رسم بها الأدباء الفرنسيون هذه الشخصية التي تميزت بالعديد من الخصال وبالكاريزما، وقد اختزلها بعضهم في ذكر جوانب منها فقط، لكن الشاعر رامبو قد رأى في الأمير "القائد الجدير بخلافة يوغرطا عكس فيكتور هيجو الذي قدم أحكاما متسرعة حوله وحول نابليون الثالث"، وتجاوز الأمير تلك الصور المختزلة لشخصيته بفضل "حكمته الكبيرة وانفتاحه الفكري". وكان اهتمام الكتاب الألمان بصورة وسيرة الأمير في مؤلفاتهم كبيرا، ويذكر **محمد حمودي** ذلك في كتابات موريتس فاغنر وكارل بيرنت بخاصة. إذ يعتبر أن ما كتبه الغربيون من رحالة و سّواح عن الجزائر في فترات مختلفة، بمثابة "شهادات حيّة تتميّز بشيء من النّزاهة والموضوعية"، وخير دليل على ذلك ما كتبه الألمانيان يوهان كارل بيرنت وأ. ف. دينيزن عن الأمير عبد القادر.

كما تناول الكثير من المشاركين في الملتقى الجانب الإبداعي من حياة هذه الشخصية التاريخية، أي كل ما يتعلق بمجال السيرة والكتابة الأدبية والشعرية، ولكون هذا الأديب ضليعا في "الصياغة اللغوية، وحكيما في نظرته إلى الحياة حيث كان يركّز على جزئيات الظواهر، ويحكم قبضته عليها، ويصورها بدقة متناهية" ؛ أي علاقة الأديب بسيرته اليومية، نجد **عبد العزيز شويط** قد تناول إسهام الأمير في الحركة الأدبية مذكرا بأنه "أديب مساهم في حركة الأدب الجزائري الحديث تأسيسا ومرجعية وتطورا، من خلال العديد من أجناس الأدب وفنونه الشعرية والنثرية "وبخاصة في جنس السيرة الأدبية الذاتية، في سيرته "الموسومة ب"تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر".

ولم تكن دراسة الكتابة الشعرية للأمير غائبة عن المعالجة الأكاديمية، إذ خصها **أحمد الشريف شطراح**، بتناوله للانزياح المورفولوجي في شعر الأمير، بالتعرض للجوانب اللسانية والأسلوبية، إذ "تخرج بموجبه اللغة من بنيتها الصرفية المألوفة إلى فضاء أوسع للتأويل، باعتبار تموقعها السياقي والإيقاعي، وتحولها الدلالي"، وهو ما يجعل "التأثيث يسهم في بناء لغة الأمير، ويحقق نجاعته وتميزه الإبداعي". ودائما ضمن دراسة الجانب اللغوي تقوم

زهرة بن يمينة، بفحص خصائص لغة الكتابة النّثريّة لدى هذا الأديب المقاوم، وبالتالي دراستها من خلال كتابته النثرية في مؤلّفيه "المواقف" و"المقراض الحاد"، المعروفان على أنّهما يدخلان ضمن المؤلّفات الفلسفيّة والصوفيّة، ولتقف أيضا "عند إشكالات مهمّة تكشف عن خصوصيّة لغة الكتابة والتّأليف" ؛ في هذين الكتابين تسعى لإبراز المميزات اللغوية وتحليل خصائص لغة التأليف من حيث المستويات، التّركيبيّة، والبلاغيّة، والأسلوبيّة.

وفي باب الرسائل قام **عبد القادر مزاري** بمعالجة الجوانب المؤثرة في حياة قائد المقاومة الفكرية، حيث كانت رسائله "بمثابة النافذة التي مكنتنا من الاطلاع على أهم مظاهر البيئة الجزائرية آنذاك، وعبرت بصدق عن الصراع القائم بين الاستعمار والشعب الجزائري"، وهي الرسائل التي تنوعت في مضامينها بتنوع متلقيها من أعداء وأصدقاء، على الرغم من أن تلك الفترة قد اتسمت بالركود الأدبي وضعفه. وهو ذات الموضوع الذي تقاربه **عمارية حاكم**، فتقدم قراءة في إبداعه الأدبي بغية الكشف عن الجانب المغمور منه والمتمثل في "الرموز الصوفية في شعره الذي لم ينظر إليه إلا من الناحية السياسية أو العسكرية"، ومن ثمة الحديث عن " سرّ الخمرة الإلهية والعشق الإلهي في شعره الذي لم يتغن بالماديات"، كما عهدنا ذلك عند معظم الشعراء. وقد عبر رمزيا الأمير عن هذه الأفكار والمعاني الصوفية من خلال قصائده وأشعاره، مما دفع **صالح الدين ملفوف** إلى الإمساك بهذه الجوانب ودراسة "أعلام النهضة الفكرية والأدبية العربية الحديثة في المشرق، كالبارودي والطهطاوي، والبستاني، واليازجي"، وصنف كل من محمود سامي البارودي رائدا النهضة الشعرية في المشرق، والأمير عبد القادر رائدها في المغرب الكبير، "فهما معا يمثلان مدرسة الإحياء والتجديد"، وقد كان الأمير في شعره "متصوفا إسلاميا متحررا من قيود التقليد المميت، ومن عالم المادة الضيق والمغلق، متطلعا إلى عالم الروح الأسمى والأعلى".

كما عالجت **فتيحة العزوني** سر اهتمام المتلقي بشعر الأمير وبخاصة لما له من "الأسباب الفنية ما يكفل له البقاء، وما يجعله حيا على مر السنين. ولذلك يظل قابلا لأن يطبق عليه بعض النقاد تصوراتهم لوظيفة الشعر"، وحيث لا "يخلد من الشعر إلا ما له من القدرة على العطاء والتجدد ما يضمن له البقاء حيا على مر السنين بعد زوال ظروفه وملابساته، مما يدفع إلى البحث في "طبيعة العلاقة بين شعر "الأمير" ومتلقيه للكشف عن أشكال التواصل بينهما". وضمن معالجة صورة الأمير في الأدب الجزائري يقوم **حبيب مونسي** بقراءة نقدية لرواية "الأمير" لواسيني الأعرج ويتساءل عن أحقية الروائي

في التصرف في المادة التاريخية، وإبراز شخصية الأمير بشكل مختلف عما هو معروف في الكتابة التاريخية.

ويرى أن "النص الروائي التاريخي هو من أصعب النصوص التي تحد من الحرية وتحتاج إلى تحضير يتجاوز الثلاث سنوات، والمحصلة في النهاية" قد تكون مخيبة للقارئ. كما يمعن **عبد القادر زروقي** النظر في قصائد الأمير التي تتضمن معاني متنوعة في حقولها الدلالية، فمنها "الجهادي، والصوفي والأخلاقي، والذاتي بكل شجون الحياة"، وهي المعاني الإنسانية العالية المعبر عنها بلغة تحتفي "بالبديع لأجل إحداث القرع الإيقاعي بكل صنوفه ومظاهره، بداية من التكرار والتقسيم ومراعاة النظير، والجناس والطباق والمقابلة، وغيرها من المؤثرات البديعية". وفي مجال الإنتاج الشعري تنوعت الموضوعات لدى الشاعر حيث لم يكتف بالتغني بمدينة بورصة، و بالتضحية والمقاومة فحسب، بل نال موضوع المرأة كذلك نصيبا من أشعاره. وهو الموضوع الذي استرعى انتباه **زهيرة بوزيدي** من خلال دراستها لجماليات المستدعى الأنثوي، إذ تبقى الأنثى لدى الأمير "رمزا للبقاء الكوني واحتفاليته الدائمة، الطامحة إلى التغيير والبنائية"، ومتى سارت الأفكار "طيّعة منسابة متوالدة، غذّت الطرح الفني ودعمته برؤى ابيستمولوجية غاية في الدّقة والعمق". وفي باب الكتابة الجمالية تناولت **ليلى مهدان** صورة الفرس في شعره لتبحث في "صورة الفرس في شعر الأمير عبد القادر، وكذا الأنساق المتدخلة في تشكيله"، ثم تتساءل عن طبيعة الرؤية التي تحددت ملامحها في القصيدة الأميرية، وعن مكوناتها، وتمظهراتها التشكيلية. وعن محتويات ومضامين في ما يكتب من رسائل يقوم **بن عبد الله مفلاح** بالتعريف بها، حيث يذكر ما كان يعتمده الأمير من معرفة تتمثل في "رصيد الثقافة الدينية، والثقافة التاريخية، والثقافة البلاغية"، والشواهد القرآنية يقوي بها المعنى والحجة، وقد نهج النهج ذاته مع "شواهد الحديث النبوي" مما ينبئ " عن سعة اطلاعه على فنون وقواعد الكتابة العربية. كما تعرض **الشايب ورنيقي** إلى رموز المقاومة في شعر الأمير ومنها الرمزيات التي كانت تركز على مبدأ "العودة إلى الدين الإسلامي بكل منطلقاته المختلفة وخاصة المنطلقين التاريخي والعقدي، قصد المحافظة على الهوية الدينية الإسلامية للمجتمع، ووحدة البلد". وقد شكل الشعر الشعبي القادري في "منطقة الأغواط والجلفة وبريان، موقفا إيجابيا في تحريك العاطفة الدينية، وترسيخ الروح الإسلامية والفكر الصوفي في ذاكرة المتلقي". والتشجيع على المقاومة للمغتصب الفرنسي. والعودة إلى البعد الروحي للدين الإسلامي. وسيكون أيضا هذا البعد الروحي في أشعار الأمير موضوعا لتحليل يقوم به **سالم بن لباد**

بقراءته للقصيدة الشعبية التي تغنت بمقاومة الأمير للمحتل الفرنسي، حيث كانت "الفكرة الوطنيّة مزيجا من العقيدة الدّينيّة والرّوح الوطنيّة"، مما دفع بتمثل الصور الرّوحية في شعر الأمير الذي كانت تؤثر في نفسيات أتباعه ومناصريه. مما يقود إلى الحديث عن أهم مسألة تعرض لها الشاعر في صراعه مع المحتل الغازي، وهو "إثبات الذات الثقافية والمنافحة عن الهوية التي تبرز من خلال شعر الفخر الذي نظمه الأمير وفصل فيه".

ولعل دراسة الأبعاد الفنية في شعر الأمير كانت لها نصيبا من الدراسة، وهو ما يسعى إليه **محمد لعمري** بتعرضه للجوانب الفنية في القصيدة الصوفية للأمير إذ يذكر أن : للبعد الصوفي صورة واضحة الملامح متجلية لا لبس فيها ولا ضبابية في شعره، وهو خير وسيلة للتعبير عن تجربته الوجدانية. وقد ترك الأمير " تراثاً كبيرا من الشعر الصوفي الذي قام على ركائز أساسية كثيرة منها الحب الإلهي، والرمز، واللغة المختصة، والخيال، والإشادة برجالات التصوّف. وهنا تكتسي مسألة الهوية في شعر الأمير بعدا هاما من أبعاد المقاومة، هو ما تتعرض له **شهيرة برباري**، فتبرز هذا الجانب في ثوبه "الفخري نصا حيويا ثريا منفتحا على القراءات الجمالية والفكرية بما يزخر به من مكونات لغوية وتصويرية، أو مضامين قومية ووطنية..."، وذلك لارتباطه بالنضال، وببطولات الأمير، و"حماسته، والتزامه بقضايا أمته، وفي مقدمتها قضية التحرر، والخلاص من المستعمر الفرنسي". كما يتساءل **صالح جديد** عن الجوانب الجمالية والتاريخية في شعر الأمير، ويتعرض للخصوصيات والمميزات الفنية والموضوعية لهذا الشعر، ويقف عند صدى "تأثير مقاومة الأمير في أشعار من عاصره ومن جاء بعده"، وأيضا كيفية تطرق هؤلاء إلى المقاومة الشعبية التي خاضها الأمير ضد الغزاة.

وضمن هذا التوجه الخاص بمعاينة الشعر الشعبي والإنتاج الأدبي واللغوي الذي تناول مقاومة الأمير، يقوم **عبد الجليل رحموني** بذكر الشعراء الذين تغنوا بتلك الفترة، ولعل من أبرزهم الشاعر أبو القاسم الرحموني الذي أشاد بمقاومة الأمير للاستعمار الفرنسي، وقد تعزز هذا النوع من الشعر أثناء وبعد ثورة الأمير عبد القادر. وجاءت هذه القصائد الشعبية "لتمنح للمقاومة الشعبية الطابع التاريخي والصبغة السياسية، إلى جانب أغراض الفخر والمدح في التغني بالمقاومة". هذه المضامين المتعلقة برؤية الذات للواقع في شعر الأمير هو ما ستنصب عليه دراسة **أحمد عراب** الذي تطرق إلى تلك المسألة من حيث "صوره ومعانيه الظاهرة التي تؤديها"، وما ينتج عن تلك التحولات وما ينبغي له. إذ تعتني هذه الذات الشاعرة بوعي كبير بهذا التحوّل "على أساس أن الانتقال في الإنتاج الشعري

ملموس في جسد الذات الكاتبة قبل كل شيء". وتتوقف **وسيلة مرباح** عند وجدانيات الأمير عبد القادر الجزائري لتدرسها وفق معادلة "بوزيمان" الأسلوبية، إذ أن شعر الأمير حسب هذه الدارسة "لا يخلو من هذا النمط، الذي بث فيه رؤاه الوجدانية منطلقا من ذاته التي شعرت بوطأة العالم الخارجي، وعجزت على التكيف معه"، و هو الأمر الذي أدى به إلى البحث عن منفذ يخلصه من تلك المعاناة، فلم يجد "إلا التمرد على الواقع الراهن، وتحدي عقباته، وطموحه نحو السمو إلى عالم آخر من صنع عواطفه"، وقد خاض في ثلاثة مواضيع وجدانية "هي تجربة الغزل، وموضوع الغربة والحنين، وموضوع الحب الإلهي". وضمن الاهتمام بلغة الكتابة الشعرية وموضوعاتها لدى الأمير، تسعى **جليلة دشاش** للتعرض إلى مجموع ما ألفه الأمير في مختلف المجالات لتؤكد بأن اجتهاداته تبرز "فنا للعيش الذي نتج عنه علم جديد يتكيف مع كل الأوضاع والحالات التي يصادفها في طريقه"، وهو بلغة الكتابة هذه قد أظهر تفوقا كبيرا في الإحاطة باللغة (كتابة وكلاما)، من حيث "تواجد الصور البلاغية والرموز، والإحالات الصوفية، ولغة مشفرة على مستويات عدة، والتجليات الإلهية على وجه ملحوظ". وفي الجانب اللغوي والتركيب البلاغي تقوم **فاطمة صغير** بالإشادة بجهود الأمير في مجال الكتابة، حيث ترى أنه كان "فحلا امتطى صهوة القوافي، فخلف بموجب ذلك ديوانا شعريا في العديد من الأغراض وشتى الموضوعات"، فتوضح ذلك بالتعرض للصور وعناصر التركيب البلاغي في شعر الأمير الذي لا يخلو من جوانب فنية.

أما في باب التصوف الذي خاض فيه الأمير كثيرا، فقد تناوله الكثير من الباحثين بالدراسة المفصلة والتحليل، بحيث قامت **خديجة الصافي** بفحص البعد الحجاجي في الإشارات الصوفية لدى الأمير، إذ إنّ "الخطاب الصوفي الإسلامي بوصفه نسيجا روحيّا تتفاعل فيه ذات المريد السالك مع الذّات الإلهية"، و ترى أن دراسة الخطاب الصوفي كغيره من الخطابات البشريّة تكشف عن "ملكة خاصّة، وخصوصيّة بارزة للحقل المعرفي، الذي ترد فيه اللغة الصّوفيّة داخليا وخارجيا (المعجم الصوفي، التراكيب، شكل اللغة بين الحقيقة والمجاز، الرموز والإشارات، أنماط الخطاب المميّزة)"، وهي خطابات ومعاني لا يمكن فهمها "إلاّ لمن أخذ نفسه عن نفسه"، وهي شروط لا بد من توفرها في المتلقي لهذا النوع من الخطابات و المعاني. وتوضح دراسة **عبد الحميد سيد حافظ** الذي يعالج فيها مكانة الإنسان في التصوف العملي عند الأمير على أساس أن هدف التصوف يتمثل في "تغيير أوضاع الأمة إلى الأحسن، ومعالجة مشكلات الواقع"، مما أهله لكي يخوض غمار

هذه التجربة التي تؤكد على "بناء الأنا عن طريق الوعي والرؤية الجديدة للذات والآخر. البدء يكون بإثبات الأنا (أنا من أهوى) تأكيدا للحضور، والأنا هو الأنا الحضاري وليس فقط الأنا الفرد"، وإثبات الأنا يأتي من خلال استعادة مكانة الإنسان في "واقعه ومحيطه الحضاري، متأسيا بالنبي الخاتم والإنسان الكامل". ولكون الأمير يمثل نموذجا للفقيه المتصوف والثائر، فقد قام **صالح علواني** بدراسة تتعمق في المرحلة التي سبقت نفيه إلى فرنسا، حيث كان "يلعب دور القاضي في فك المنازعات بين القبائل، ويلعب دور السياسي، فيؤلف بين الصفوف المتفرقة"، وعليه فإن دراسة مسيرته وشخصيته وهو في ساحة المعركة تحتاج حسب هذا الباحث إلى المزيد من التعمق والدراسة، و "من جوانب متعددة وبأدوات بحث مختلفة منها النفسي، والاجتماعي، والانثربولوجي أيضا، وإلى الحفر الأركيولوجي في البيئة الثقافية والاجتماعية التي أنشأت الأمير عبد القادر".

وفي ذات التوجه سعت **عيادة بن أيوب الكبيسي** في تناول التزكية وأثرها في السلوك الأمثل للأمير، حيث يرى أن انعقاد مثل هذا الملتقى مناسب " لما تمر به أمتنا هذه الأيام من نزاعات وانقسامات، بل وفوضى عارمة، وتخبط في المسير"، والأمير نموذج لذلك من حيث إن "أبرز الأعمال الجليلة التي اتسمت بالتحلي بالصدق والإخلاص، والشجاعة وضبط النفس، والتزام هدي الشرع مع ما تحلى به من زهد وعفة، وحزم وحكمة"، والتي تدل على أنه قدوة للجميع بسبب "سمو نفسه وترفعها عن كل ما يشين، أو يخل بالنفس الزكية. وتوخت **فريدة مولى**، التعرض لعرفانيته بخاصة لكون أن هذا الأخير نظر إلى الوجود على أساس أنه "بنية منسجمة تتناغم عناصرها وتتجانس وتتداخل لتشكل الوحدة التي لا تنفصم، والتي تسري في جميع الموجودات"، وكان الأمير متأثرا بالعديد من المتصوفة وعلى رأسهم ابن عربي، معلمه وأستاذه الذي أخذ عنه العلم وحسن الأخلاق". ودائما في مجال العرفان انبرى **قويدري الأخضر**، لمناقشة إسهامات الأمير عبد القادر في تقريب العرفان الأكبر، فيرى أنّ الملفت للانتباه في تصوفه فهو ذلك المنحى العرفاني العميق الذي اقتفى فيه أثر أستاذه الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، إلى حدّ أن القارئ لكتاب المواقف "يشعر بترانيم الفتوحات المكية وفصوص الحكم تتلى من جديد، ويُلفي في ثنايا نصوصه شرحا لكثير من مستغلقات الكتابات الأكثرية"، ولم تغب عن **أحمد سحواج** ملامح الفلسفة الغنّوصية في الخطاب الشّعري الصّوفي للأمير، فلديه الشعر يفرض "منطقه الخاص (منطق الخطاب العرفانيّ)، الذي يسلك بواسطته طريقًا للتعبير عن الآراء والأفكار الفلسفية بلغة الذّوق الباطني"، لكون الخطاب الشعري الصوفي للأمير يعج بتلك القضايا

والنّظريات الميتافيزيقية والأخلاقية. وفي مجال الكتابة الصوفية أيضا يتوجه **فارس لزهر**، بالتحليل والدراسة لتقنيات كتابة المقامات الصوفية عند الأمير من خلال كتابيه "المواقف"، و"الحقيقة الإلهية"، إذ وظف الأمير في تأليف كتابه الأول هذه المقامات الصوفية، وهي جملة من التقنيات التي تتمثل في "الاستظهار الصوفي، وصف المجرَّدات، وشعرية الوصف، وحداثة النَّثر، والاستطرادات السَّرديَّة، والاستعارات الوامضة". أما **زينب لوت** فقد ناقشت أيضا هذه الجوانب الروحية في التصوف الإبداعي والإبداع الصوفي لدى الأمير، إذ ترى أن "للعقيدة دور في تأسيس الإبداع الجمالي، وتجميل الصورة الإبداعية في مرأى الفكر الوجودي"، وهي الأمور التي جعلت حياة الأمير ترتبط بالتصوف من ناحية التجربة والمعرفة، وقد كان ذلك متجسدا في صور محسوسة للخيال.

ويتعرض **بلقاسم فيلالي** إلى مكانة الأمير بين العلماء والمفكرين من خلال كتاباته ورسائله التي عبر فيها عن "نظريته وموقفه الخاص من نظرية المعرفة، حيث جمع فيه بين المعرفة الحسية، عن طريق الحواس الظاهرة كحاسة اللمس التي يدرك بها الإنسان الملموسات، والشم والسمع والذوق، ثم حاسة البصر فيدرك بها بعض الموجودات إلى أن يتجاوز المحسوسات"، كما أعطى الأمير للعقل حقه من حيث إنه "يجعل طريقا ثانيا للمعرفة وهو العقل، وجعله أشرف من المعرفة الحسية". وهو في باب صدق النبوة بدلالة المعجزة، فهو في ذلك موافق تماما لما ذهب إليه ابن تومرت. وفيما يتعلق بمكانة الأمير بين العلماء والمفكرين ورجال السياسية. وضمن العلاقة التي أقامها الأمير مع الطريقة الرحمانية، يقوم **محمود بوكسيبة** بدراسة هذه العلاقة والمواقف ليؤكد على أن تحالف الأمير مع هذه الطريقة لم ينجح في تأسيس الدولة التي أرادها هذا المقاوم لأسباب متعددة، إذ يقوم بالتطرق "إلى الطرق الصوفية المتواجدة آنذاك، بدراسة مبادئها وأفكارها السياسية المرتبطة بفكرة الجهاد، وتأسيس الدولة دون الدخول في السرد المضني وأسباب فشلها". ومثلما كان للأمير أستاذ ومعلم وهو ابن عربي الصوفي الكبير، كان لصاحب "كتاب المواقف" تلامذة يتبعون خطاه ويغترفون من معارفه الصوفية، وهو ما انتبه إليه **محمد طيبي** الذي فحص تجليات الحضور العرفاني لدى الأمير بعرضه لكتابات تلاميذه الشاميين، وبالأخص عبد الرزاق البيطار وعبد المجيد الخاني، وهما اللذان كانا يقيمان بأرض الشام التي "اختارها الأمير لاستقراره المادي والنفسي والروحي، وتجلت فيها روحانيته". وقد ذكر مناقبه الشيخ عبد الرزاق البيطار في كتاب عنوانه (حلية البشر)، وفي الموضوع ذاته ألف الشيخ عبد المجيد الخاني كتابا موسوما بـ (الحدائق الوردية).

أما عن رؤية العالم لدى الأمير بصفته قائدا وشاعرا وصوفيا، فإنّ **جميلة بن شنان** تقوم بسعي حثيث لتحليلها من خلال الجانب الصوفي في كتابات صاحب "المقراض الحاد"، والتي تشتمل على الكثير من القيم ذات الطابع القدسي في الديانة الإسلامية، و"لا تقتصر هذه الرؤية بالضرورة على رؤية المفكر أو المبتكر، ولكنها تمتلك جذورا اجتماعية وثقافية وروحية في المجتمع الذي ينتمي إليه المفكر أو المبتكر .ولا يتم التعبير عن الرؤية خارج النص لأنها "متأصلة بعمق داخل العلاقة التي تربط العمل الأدبي، الذي تم اعتباره بناءً محددًا، بالهيكل العام الذي يوفر أسلوبه الفني". كما أنجزت **دليلة حساين دوادجي** قراءة لمسيرة الأمير وكتاباته وإسهاماته الحضارية من حيث العلاقة بين الشرق والغرب، ومن زاوية "البعد الزمني والبعد الروحي، حيث يلتقي الشرق والغرب ويتداخلان" في حوار عميق حول القيم الإنسانية والتسامح.

وفي الختام يمكن أن نقول أن هذا الملتقى الدولي قد حقق أهدافه من حيث الحضور الكمي والنوعي لمختلف المختصين والمهتمين بفكر وأدب الأمير عبد القادر، الذي سعى للمقاومة على جبهات متعددة، منها العسكري والسياسي والفكري، وظفر باهتمام كبير لدى خاصة الناس وعامتهم، وذاع صيته عالميا، وتدخل أعمال هذا الملتقى ضمن الكشف عن الدلالات القوية في مسيرته وفي فكره، وهي نوع من الإشادة والتكريم لجهوده المتعددة في بناء دولة حديثة على أساس التحرر والمقاومة والعصرنة.

محمد داود [1, 2]
عبد الكريم حمو [3]
(ترجمة محمد داود)

[1] Université Oran 1, 31000, Oran, Algérie.
[2] Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle, 31000, Oran, Algérie
[3] Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle, 31000, Oran, Algérie